الفصل الثاني

أبعاد الوحي الأعلى

توضيحا لرسالة المسلمين العالمية وتحديدا لموقفهم المتميز بين الناس ، يقول الله تعالى لهم : « هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ »[1] . وفى موضع آخر يقول سبحانه : « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا »[2] .

ونلحظ أن شهادة المسلمين على الناس تقدمت فى نص وتأخرت فى نص آخر ، وسواء تقدمت أم تأخرت فالمقصود ما قلته بإيجاز فى أحد كتبى : « إن الله ربّى محمدا ليربى به العرب ، وربّى العرب بمحمد ليربى بهم الناس كافة » .

ولا ريبة فى أن محمدا عليه الصلاة والسلام قام بما فرضه الله عليه ، وأنه أنشأ من العرب المعزولين عن حضارات العالم أمة لانظير لها فى سناء المعرفة ، وزكاة الأخلاق ، وشرف الحضارة ، وأن هذه الأمة التى صاغها محمد فى قالب جديد أضاءت المشارق والمغارب ، وأعادت الحياة المادية والأدبية لجماهير من البشر ظلت ترسف دهرا فى الجهالة والعبودية ...

ونحن نشهد بذلك بعد بضعة عشر قرنا من بعثته ، كنا أصفارا ثم صرنا شيئا مذكورا ! فهل يشهد لنا العالم بما نشهد به نحن لمحمد ؟ أو بعبارة أخرى : هل وصلنا للناس القول كما وصله هو إلينا ، ونقلناهم بالوحى كما نقلنا هو به ؟

---

(١) الحج : ٧٨ .　　(٢) البقرة : ١٤٣ .

إن سلفنا الأول أدى ما استطاع من واجب البلاغ وعبء التعليم والتربية ، ثم شرع الأخلاف ينطوون على أنفسهم أو يشتغلون بشئونهم وينسون أنهم شهداء على الناس ..

وهذا التقصير بدأ ضئيلا ثم تنامى على مرّ الأيام ..

والمسلمون الآن بين $\frac{1}{5}$ العالم أو $\frac{1}{4}$ ، وأغلب سكان القارات لايدرى شيئا عن رسالة الحق ، أو يدرى عنها مالا يشرفها ، مالا يغرى بالنظر فيها بله اتّباعها ..

إن المسلمين ـ والعرب خاصة ـ مسئولون أمام الله عن هذه الجهالة السائدة ...

ويخيل إلىّ أن ناسا من استراليا وأمريكا عندما يوقفون أمام الله يوم القيامة ليسألهم : لماذا لم تعرفونى معرفة صحيحة وتعملوا لى عملا صالحا وتستعدّوا لهذا اللقاء ؟ فإنهم سيقولون لله : إن العرب الذين ورثوا دينك ، حبسوا نوره ، أو أطفؤوا مصابيحه ، وتركونا ، وتركوا أنفسهم فى ظلام ! !

وأترك الحديث عن قصور الدعوة وعطل أجهزتها إلى أمر آخر أخطر وأنكى ... إن غشا واسعا تسلّل إلى ثقافتنا الإسلامية ونال من جوهرها ومظهرها .. إن أكذوبة الغرانيق التى بسطها الطبرى فى صفحات ، وأسهب فى الحديث عنها محمد بن إسحاق ، والتى عدها السيوطى مما نسخ ! ثم أثبتها فى سيرته[1] النبوية محمد بن عبد الوهاب ، هذه الأكذوبة مثل لاضطرابات فكرية وسياسية مبتوته العلاقة بالدين ، نريد أن ننحّيها عن ديننا كما ينحّى القذى عن الوجه الجميل لتبقى له وسامته ...

والحمد لله أن القرآن الكريم مصون لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن السنة المطهرة يعرفها الحفاظ والفقهاء ، وأنها ـ فى جملتها ـ تراث صادق لم يعرف التاريخ نظيرا له فى النقاء ..

ونحن عندما نعرض الإسلام على الناس ـ إلى آخر الدهر ـ يعيننا على نشر

---

(١) انظر الأعمال الكاملة لمحمد بن عبد الوهاب طبع جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية .

عقائده وقواعده أمران مهمان :

الأول : مواثيق الفطرة التى أخذها الله على الناس من ظهور بنى آدم ، فنحن أصدقاء هذه الفطرة ، نعتمد على سلامتها ونردّ المنحرفين إليها « لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ »(١) .

واحترامنا للعقل قائم ، ونزولنا على منطقه حتم ، وعدونا فى هذه الحياة التقليد البليد والتعصب الأعمى ..

وسلاحنا العتيد : « قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ »(٢) وفى كل معركة تشتجر فيها الأدلة لابد أن يخرج الإسلام منتصرا .. ومن ثم لانشعر ونحن نخوضها بأى قلق ...

الأمر الآخر : لفت الإنسان بعد نفسه إلى ماحوله ! « أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ »(٣) ؟ وفى المعارف الكونية والإنسانية ألف سائق إلى الله الحق ..

وكل تقدم علمى هو دعم لرسالتنا مهما كانت البيئة التى ظهر فيها ، قال تعالى : « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ »(٤) .

تجديد الإسلام : كيف ؟

وإن كنا يخامرنا الأسى لحال المسلمين فى القرون الأخيرة ، ولمستواهم العلمى الهابط ، ولغيابهم عن المجامع العلمية الناشطة ، وقد كان من أثر هذا الغياب أن ألّف بعض الأوربيين رسالة عن أثر « ألف ليلة وليلة فى التشريع الإسلامى » . والتعتيم على حقائق الإسلام تبذل فيه جهود هائلة ، ويشارك فيها شياطين

---

(١) الروم : ٣٠ .

(٢) الأنبياء : ٢٤ .

(٣) الأعراف : ١٨٥ .

(٤) فصلت : ٥٣ .

الشرق والغرب ، حتى ليكاد الدين الصحيح يختفي من دنيا الناس ، فماذا نعمل للنهوض بأعباء المنصب الكبير الذى اصطفانا القدر له بعد ما أورثنا القرآن الكريم ، وكلفنا أن نتعلمه ونعلمه للآخرين ؟

قبل الإجابة المفصلة عن هذا السؤال أود أن أقرر أمورا ذات بال !

أولها : أن دار الإسلام لم تنصف الوحى الذى شرفت به ، ولم تحسن القيام عليه !

ثانيها : أن العالم ـ بعيدا عن ديار الوحى وفى غياب تعاليمه ـ لم يقف مكتوف الأيدى ، بل خط لنفسه مناهج من عنده ، اختلط فيها الصالح والطالح ..

ثالثها : أنه منذ سقوط بيزنطة ، وافتتاح المسلمين للقسطنطينية ، اكتشف الأوربيون أمريكا ، واستولوا على الأندلس ، وبدأ عصر الإحياء ، ووقعت طفرة علمية لم تعرف الدنيا شبيها لها منذ بدء الخليقة ، كما استقرت نظم اجتماعية وسياسية كثر الحديث فيها عن حقوق الإنسان وكرامات الشعوب !

وأخيرا كان الوجود الإسلامى خلال هذا التحول العالمى يتقلص ويتراجع حتى أمسى أطلالا بالية مع مرور القرن الرابع عشر للهجرة ! !

وقد اضطررت ـ وأنا اتحدث إلى الخلائق الحائرة ـ أن أضع عشرة تعاليم جديدة تنضاف إلى التعاليم العشرين التى وضعها الإمام حسن البنا ، لترميم العالم الإسلامى وإصلاح فهمه وعمله به ، والواقع أن الجهاد العلمى فى معركة البناء فريضة لازمة ، وإذا لم ننتصر فيه فسيكون عقابنا شديدًا ..

إن تجديد الإسلام ليس نشاطا فى ميدان واحد بل فى ميادين شتى ، وليس صمودا أمام عدو واحد ، بل أعداء كثيرين ، لعل أشدهم بأسا يكمن فى داخل بلادنا !

ولا بأس أن أعيد هنا المبادئ العشرة التى اقترحتها[1] ترشيدا لمسيرة الإصلاح عندنا .. !

---

(١) دستور الوحدة الثقافية : ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

١ ـ النساء شقائق الرجال وطلب العلم فريضة على الجنسين كليهما ، وكذلك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وللنساء ـ فى حدود الآداب الإسلامية ـ حق المشاركة فى بناء المجتمع وحمايته .

٢ ـ الأسرة أساس الكيان الخلقى والاجتماعى للأمة ، والمحضن الطبيعى للأجيال الناشئة ، وعلى الآباء والأمهات واجبات مشتركة لتهيئة الجوّ الصالح بينهما ، والرجل هو رب الأسرة ، ومسئوليته محدودة بما شرع الله لأفرادها جميعا .

٣ ـ للإنسان حقوق مادية وأدبية تناسب تكريم الله له ، ومنزلته الرفيعة على ظهر الأرض ، وقد شرح الإسلام هذه الحقوق ودعا إلى احترامها .

٤ ـ الحكام ـ ملوكا كانوا أم رؤساء ـ أجراء لدى شعوبهم ، يرعون مصالحها الدينية والدنيوية ، ووجودهم مستمد من هذه الرعاية المفروضة ومن رضا السواد الأعظم بها ، وليس لأحد أن يفرض نفسه على الأمة كرها ، أو يسوس أمورها استبدادا ...

٥ ـ الشورى أساس الحكم ، ولكل شعب أن يختار أسلوب تحقيقها وأشرف الأساليب ماتمحّض لله ، وابتعد عن الرياء والمكاثرة والغش وحب الدنيا .

٦ ـ الملكية الخاصة مصونة بشروطها وحقوقها التى قررها الإسلام ، والأمة جسد واحد ، لا يهمل منها عضو ، ولاتزدرى فيها طائفة ، والأخوة العامة هى القانون الذى ينتظم الجماعة كلها فردا فردا ، وتخضع له شئونها المادية والأدبية .

٧ ـ أسرة الدول الإسلامية مسئولة عن الدعوة الإسلامية ، وذود المفتريات عنها ، ودفع الأذى عن أتباعها حيث كانوا ، وعليها أن تبذل الجهود لإحياء الخلافة فى الشكل اللائق بمكانتها الدينية .

٨ ـ اختلاف الدين ليس مصدر خصومة واستعداء ، وإنما تنشب الحروب إذا وقع عدوان أو حدثت فتنة أو ظلمت فئات من الناس .

٩ ـ علاقة المسلمين بالأسرة الدولية تحكمها مواثيق الإخاء الإنسانى المجرد ، والمسلمون دعاة لدينهم بالحجة والإقناع فحسب : ولا يضمرون شرا لعباد الله.

١٠ ـ يسهم المسلمون مع الأمم الأخرى ـ على اختلاف دينها ومذاهبها ـ فى كل مايرقى ماديا ومعنويا بالجنس البشرى ، وذلك من منطلق الفطرة الإسلامية والقيم التى توارثوها عن كبير الأنبياء ، محمد عليه الصلاة والسلام .

تلك هى المبادئ العشرة التى أقترح إضافتها ، والتى أتقدم بها مع التعاليم العشرين لمجدد القرن الرابع عشر الإمام الشهيد حسن البنا ، رضى الله عنه .

ولمن شاء أن يقبل أو يرفض ..

وآخر ماندعو به : « ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ »[1] .

خطورة الجهل بالآخرين

من الأخطاء التاريخية التى أساءت إلينا طويلا جهلنا بغيرنا ، وقصورنا عن إدراك أحوالهم العامة ، وقد يكون هذا الغير خصما ضاغنا أو عدوا مزعجا ..

وأكثر الغارات التى قوضت بنياننا الحضارى كانت تشبه الزلازل المباغتة لايعرف لها وقت أو تتخذ لها أهبة ! !

وقد سقطت لنا عواصم ، وضاعت من دار الإسلام أقطار ، والمسلمون فى غفلات أول الليل التى يقول فيها الشاعر :

يانائم الليل مسرورا بأوله ... إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

كذلك طاحت الأندلس ، وكذلك تطيح لنا اليوم أرضون فى آسيا وإفريقية وأوروبا ..

كانت دراستنا للآخرين صفرا ، مع أن الآخرين كانت تغلى مراجلهم ولا يفتئون يفكرون فى النيل منا والإتيان على ديننا من القواعد !

أكنا نتدبر الآية الكريمة : « ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ .. »[2] ؟.

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٦ .

(٢) سورة البقرة : ٢١٧ .

وإذكنا نسينا هذا النذير الإلهى ، فيكف ننسى أحداث تاريخ طويل ، ترادفت مآسيه علينا ، ولا تزال تنذر بالويل والثبور ؟

إننا جزء من عالم موّار بالحركة ، وقد تحولت خطاه إلى وثبات فسيحة فى هذا العصر ، وأعداؤنا يصارحون بكراهيتهم العميقة للإسلام ، وتخطيطهم للإتيان عليه .

فحتى متى نجهل ماحولنا ؟ يجب أن نندم على هذا الخطأ ونتحرز بعد من الوقوع فيه ...

ـ وأرى أن يتكون جهاز ذو نشاط مزدوج ، كلاهما يضارع الآخر فى القدرة واليقظة ..

ـ **النشاط الأول** يقوم على الأسس الآتية :

(أ) سبر الارتقاء الثقافى والإحاطة بالآماد التى بلغها غيرنا حتى نعرف من نخاطب ؟ وماذا نقول ؟

(ب) إدراك المستوى العمرانى والصناعى والحضارى الذى يسود العالم من حولنا ، فإن من الهزل أن تعرض الإسلام أممٌ متخلفة ، ينظر إليها غيرها شزرا ، ولاتستطيع أن تساند حقها بدعائم مادية أو علمية .

(جـ) دراسة التيارات السياسية والقوى العسكرية التى حظى بها غير المسلمين ، وتقدير ما تقدمه للأديان والمذاهب الأخرى من دعم ، ووضع ذلك تحت أنظار المسئولين .

ـ **أما النشاط الثانى** فهو داخلى يتحرك فى دار الإسلام ويقوم بما يأتى :

(أ) محاربة الغش الثقافى والانحراف الفكرى اللذين أبعدا الأمة الإسلامية عن كتاب ربها وسنة نبيها ، وجعلاها صورة مشوهة للدين الحق ، وأعجزها عن نصرته ..

(ب) إعادة بناء الأمة الإسلامية على أساس أن الوحى حياة ، وأن دراسة الكون أهم ينابيع الإيمان ، وأن حسن استغلاله سلاح اقتصادى وعسكرى خطير ..

(جـ) كرر القرآن فى أربعة مواضع السِّمات الأولى لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهى تلاوة آيات الله على أنها منهاج العمل ، وتربية الأمة على الأخلاق المتينة والتقاليد الظاهرة ـ وهذه هى التزكية التى لانكاد نعى منها شيئا طائلا ـ وتعلّم الكتاب والحكمة .

ونحن للأسف بعيدون عن الحكمة فى أغلب شئوننا ، ولانرتبط بمعانى الكتاب وأهدافه ..

ولكى يكون انتماؤنا للإسلام واقعا ملموسا لابد من إبراز هذه السِّمات الثلاث ماديا ومعنويا ..

(د) غربلة التراث الإسلامى الذى آل إلينا فى هذا العصر لاستبقاء مايوافق الكتاب والسنة واستبعاد ماعداه ، ونحن أصحاب وحى معصوم ، وفى تاريخنا العلمى قمم وأئمة ، قد تختلف أفهامهم فى الفروع الثانوية ولكنهم قلما يختلفون فى الأصول والغايات ..

ومن الممكن جمع شتات العالم الإسلامى مع صدق النية وسعة الأفق .

ذلك ، والجهاز الذى أقترحه ينبغى أن يعمل بعيدا عن الأضواء مكتفيا بنظر الله إليه ، كما ينبغى أن يكون مساعدا لجميع الأجهزة الإسلامية القائمة ، مثل مجمع البحوث فى مصر ورابطة العالم الإسلامى فى السعودية ..

إنه جهاز راصد كشاف ، يرقب العالم الإسلامى والعالم كله .. وشغله الشاغل حراسة الرسالة الخاتمة وعلاج مايساورها من عطب ، أو يتهددها من كيد ، ثم لفت الأجهزة الإسلامية الكثيرة كى تؤدى واجبها ..

للشيطان جهود قديمة فى صرف الناس عن الحقيقة ، قد تظهر فى إبعادهم عنها أو تجريئهم عليها ، وذلك بالعصيان السافر أو الخافت ، أو بمنهج آخر أسوأ هو تشويه الحقيقة نفسها والأخذ من أطرافها أو من صميمها ..

إن البدعة قد تكون أقبح من المعصية ! !

والدين منذ آدم ونوح ومن بعدهما تعرَّض للنوعين معا ، فالأصنام التى حاربها نوح شماليّ الجزيرة العربية ـ فى أعلى العراق ـ عادت إلى الجزيرة نفسها ، فكان

من العرب من يتسمَّى : عبد « وَدَّ » وعبد « يغوث » ..

وقد بنى إبراهيم الكعبة حصنا للتوحيد ، ومثابة للركع السجود ، وسرعان ماحوّلها العرب إلى موئل للأصنام تقصد من دون الله ، أو معه ! !

وموسى الذى استنقذ قومه من حكم الفراعنة تحوّل قومه إلى فراعنة ، وتحوّل التوحيد فى ديانته إلى تجسيد وخرافة ، كما تحوّل فى ديانة عيسى إلى تثليث وقرابين ، واختفت معالم الوحى النازل على إبراهيم وموسى وعيسى ، فلا يعرف لها وجود ...

وفى الصحف المنسوبة إلى أولئك النبيِّين خلط هائل وشرود بعيد ...

ومع أن رسالة محمد نجت من هذا البلاء الماحق ، ومع أن أصولها بقيت نقية محفوظة ، إلا أن الشيطان لم ييأس من إلحاق قذى بها يظهر فى تفسيرات بعض القاصرين ، وتطبيقات بعض ذوى الأهواء ..

وقد رأيت من يستميت فى تقرير أن الإسلام توسع بالسيف ، وأكره شعوبا على الدخول فيه بالقوة !

وفى سبيل ذلك يلغى أو ينسخ أكثر من عشرين ومائة آية أولها قوله تعالى : « لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ ..»[1] .

ورأيت من يجادل بغضب فى إقامة الحكم على الشورى ، ويرى أن الشورى نافلة يرجع إليها الحاكم إذا شاء ، وأن الإسلام لايكترث لأجهزتها ولا لضماناتها . وينظر إلينا ونحن نتحدث فى ذلك على أننا مسحورون بالأنظمة الغربية نريد نقلها إلى أرض الإسلام ..

وغنىٌّ عن البيان أن هؤلاء أعوان الفرعونية الحاكمة ، أو ممهدو الطريق أمامها ...

وهناك نفر من الناس يتهمك بمحاربة السنة إذا قلت : إن للفلك حسابا محكما يمكن أن نعرف به مولد الهلال ومغيبه ، وهو ينظر إلى قصة رواد القمر على أنها من الإسرائيليات الملفقة ...

---

(١) البقرة : ٢٥٦ .

وفى هذا العصر الذى شهد أزمة للإيمان ، وانفصالا بين العلم والدين ، والذى يتحرك فيه العلماء الراسخون بثبات لتعريف الناس بالله الأحد الفرد الصمد ، بديع السماوات والأرض ، ذى الجلال والإكرام ، يجيئك شخص شاحب الفكر يقول لك : أفهمهم أن الله خلق آدم على صورته طوله ستون ذراعا » ! !

وقد يزيد على ذلك : وقل لهم إن له ساقا ورجْلا .. !

إن العقيدة ـ فى المنطق الإسلامى ـ لاتثبت إلا من نص[1] قطعىّ الدلالة والثبوت ، وهذه المرويات الآحادية يقبلها من يقبلها ، ويأباها من يأباها ، ويؤولها من يؤولها ، فما معنى استحيائها فى هذا العصر وشغل الأذهان بها ؟

أهى فتنة للناس ؟ ! !

من أجل ذلك نريد أن ننظر فى ثقافتنا الإسلامية المعاصرة لنعيدها إلى قواعدها الأولى .

وكتابنا معصوم جملة وتفصيلا ، والسنة فى جملتها ثابتة ، ضبطها الفقهاء والعلماء الثقات بما ينفى عنها الأوهام ، ويجعلها ضميمة إلى القرآن الكريم ، لاتندُّ عنه .. ولا تبعد عن هداه ..

ولاريب أن للسنن المتواترة حكم القرآن نفسه ..

---

(١) ما نقرره هنا هو مذهب جماعة المسلمين ولا اعتبار للشواذ !.